المصـــــدر : الشرق الاوسط
التـــاريخ : 29-12-2005 العـــدد : 9893
الصفحـات : 20 المسلسل : 83

أحـــداث 2005

ملف صحفي

رحلة أسعار النفط الجامح في 2005

تذبذب الأسواق وأخطاء الخبراء تكرس دور «ريتا» و«كاترينا»

المصـــــدر : الشرق الاوسط
التـــاريخ : 29-12-2005 العـــدد : 9893
الصفحـات : 20 المسلسل : 83

لندن: خالد الطويلي

قد يجوز القول ان الاعاصير التي هبت على الولايات المتحدة في الربع الثالث من العام وضربت صناعة النفط في خليج المكسيك كانت «العصاة» التي كسرت ظهر جمل سوق النفط. لأن السوق كانت قد شهدت قبل ذلك ارتفاعاً في الأسعار حتى الضعف منذ 2003 لأسباب ليس لها علاقة بأحوال الطقس في خليج المكسيك. ولكن «كاترينا» عصفت فجفقت برك النفط حول العالم واظهرت ضفادعها ومن بينها ضفادع الطاقات التكريرية للنفط الخام خاصة الثقيل منه، وضفادع سقف الإنتاج وقدرة الآبار المنتجة على مجارات الطلب على النفط الخام المستمر في الصعود.

ثم وصل إعصار كاترينا ومن بعده ريتا فضربا في وقت كانت فيه سوق النفط متوترة أصلاً والأسعار عند مستويات فاقت خيال الخبراء والمحللين. وأصبح الإعصاران دون شك على رأس قائمة أهم الوقائع التي أثرت على مسار أسواق الطاقة العالمية خلال 2005 إضافة إلى تلك الأحداث التي كانت قد صعدت بالأسعار في العام السابق، واستمرت في التأثير خلال 2005 مثل الحالة العراقية وزيادة الطلب الكبير على النفط في شرق العالم، وخاصة في الصين وتوتر الأوضاع السياسية أو الأمنية في مواقع إنتاج مهمة مثل نيجيريا وفنزويلا.

وقد كانت هذه العوامل إضافة إلى الإدمان الأميركي القديم والصيني الجديد على استهلاك الوقود المسؤولة بالدرجة الأولى عن الارتفاع القياسي الذي حققته أسعار النفط وما أدى إليه ذلك الوضع من استنفار سياسي واقتصادي على مستوى العالم من شركات النفط والدول المستهلكة والمنتجة للنفط والمنظمات التي تمثلها في العالم لتفادي وقوع تأثيرات سلبية حادة على الاقتصاد العالمي.

وكان العالم قد ودع 2004 وأسعار النفط مرتفعة نسبياً عند معدل 50 دولاراً للبرميل نتيجة الظروف الآنفة الذكر، ولكن توقعات الخبراء كانت تقول إن هذا الارتفاع لن يستمر طويلا مشيرين إلى احتمالات هبوطها حسب تقرير لبنك النقد الدولي وذلك للحفاظ على سعر 35 دولارا للسنوات المقبلة. ولكن هذا المستوى أيضاً كان يظن أنه غير مقبول وبقي في نظر الخبراء اعلى بكثير من مستوى 20 الى 25 دولارا الذي كان يجري التفاوض عليه في العقود الطويلة المدى.

وبنهاية الربع الأول من 2005 كانت أسعار النفط قد خالفت توقعات خبراء البنك الدولي وأظهرت في بورصة البترول الدولية في لندن ارتفاعا في العقود الآجلة بما يقرب الدولارين ليتجاوز سعر البرميل 54 دولاراً حيث بدأت تظهر في الأسواق حساسية بالنسبة لسعر النفط تعود بشكل أساسي للقلق الخاص بانخفاض القدرة الانتاجية الفائضة لدى الدول المنتجة، والتي تتركز لدى دول «أوبك»، بالإضافة الى المخاوف الخاصة باستقرار الامدادات من النفط الخفيف الذي تطلبه مصافي النفط في مواقع كثيرة من العالم.

مشكلة توافر النفط الخفيف

خلال الربع الأول من 2005، مقارنة بالربع الأخير من العام السابق كانت أول إنذار بالخطر ومع ذلك ظل غالبية «الخبراء» على تفاؤلهم متوقعين نمواً عالمياً واستهلاكاً للنفط بوتيرة اقل من العام السابق ومتوقعين أن رفع «أوبك» لمعدلات إنتاجها في حال حدوثه سوف يغير حقائق العرض والطلب ويساهم في تهدئة فورة الاسعار.

المتشائمون في تلك الفترة مثل بنك «غولدمان ساكس» قالوا في تقرير بحثي ان أسواق النفط دخلت فترة ارتفاع كبير قد تدفع الاسعار الى حدود 105 دولارات للبرميل تدريجياً في سوق نايمكس الأميركية بحيث تكون عند 50 دولارا في 2005 و 55 دولارا في 2006. وكانت توقعات «غولدمان ساكس» تمثل أعلى التوقعات بين تقديرات 25 محللا ومستشارا وهيئة حكومية استطلعت وكالة «رويترز» آراءهم في ذلك الوقت.

واثبتت هذه التوقعات المتشائمة انها كانت الاقرب إلى الصواب، رغم أنها لم تصبه تماماً، حيث انها كانت قد أبقت حدود ارتفاع الأسعار إلى ما دون سقف الـ 60 دولاراً للبرميل خلال 2005 و 2006. كما أن التوقعات بأن تؤثر الأسعار المرتفعة على حجم الاستهلاك العالمي لم تتحقق، ولم يكن هناك خفض كبير في استهلاك الطاقة، بل إن الطلب عليها ارتفع بشكل تم معه استهلاك كامل إنتاج النفط الخام المعروض في الأسواق واستمرت الضغوط على دول أوبك لضخ باقي إنتاجها.

وبعد مرور ربع آخر من العام، استمر تفاؤل المحللين بأن الأسعار سوف تعود للهبوط خلال النصف الثاني من العام. وحذر تقرير نصف سنوي صدر عن الامم المتحدة في اطار مراجعة للاقتصاد العالمي بعد انقضاء الاشهر الستة الاولى من عام 2005 من ان اسعار النفط المستمرة بالارتفاع سوف تؤثر سلباً في النمو العالمي، وتؤدي الى سقوط مريع في المستقبل، متوقعا ضرورة ان تتراجع هذه الاسعار في النصف الثاني من العام عن معدل 50 دولاراً للبرميل، بعد فقدان الطلب العالمي على هذه المادة بعضا من ديناميكيته.

ولكن ديناميكية السوق فاجأت الجميع، واخذا تقرير الأمم المتحدة نصف السنوي أيضاً لأنه لم يتنبأ بتأثير موسم الأعاصير على الحالة النفسية للسوق، فقد بدأت أسعار النفط بالصعود نحو حاجز الـ 60 دولاراً بعد أيام قليلة من صدور التقرير، فسجلت أسعار العقود الآجلة للنفط الخام الأميركي الخفيف مستويات أسعار كانت الأعلى على الإطلاق حتى ذلك الوقت وسط مخاوف من نقص إمدادات الوقود في فصل الشتاء. وبلغ سعر عقود النفط الخام الأميركي الخفيف في بورصة نايمكس 60.60 دولار للبرميل.

وفجأة، تعرضت الأسعار لهبوط حاد بعد ذلك ليضعة أيام جعل المحللين يهزون رؤوسهم استحساناً للمستجدات في السوق التي بدأت تحقق توقعاتهم السابقة بشأن هبوط الأسعار، مبشرين بأن صعود الأسعار قد بلغ ذروته وأن الاتجاه سوف يكون من الآن وصاعداً نحو الأسفل.

ولكن، وفي الوقت التي كانت فيه المواصلات العامة في العاصمة البريطانية لندن تتعرض للهجمات الإرهابية يوم 7 ـ 7 ـ 2005، كانت الأخبار المطبوعة صباح ذلك اليوم تتحدث عن وصول العاصفة المدارية «سيندي» الى الأراضي الأميركية مرغمة شركات نفطية هناك على وقف ما يعادل ثلاثة في المائة تقريبا من طاقة الإنتاج الأميركية في خليج المكسيك. وفي الوقت نفسه ازدادت قوة العاصفة «دينيس» المدارية في جنوب الكاريبي وكان ينتظر ان تصل الى خليج المكسيك في مطلع الأسبوع التالي، مما هدد بمزيد من الاضطرابات في منشآت النفط والغاز وخيب ظن المحللين وأعاد مؤشر الأسعار نحو الأعلى من جديد.

في اليوم التالي عادت أسعار النفط للارتفاع مجدداً بعد هبوطها الحاد وذلك في رد فعل على سلسلة الانفجارات التي ضربت لندن إضافة إلى الهاجس النفسي الذي شكلته العواصف التي بدأت تحوم حول مواقع الإنتاج والتكرير في خليج المكسيك والتي فاقمت من المخاوف بشأن قدرة عمليات التكرير وانتاج النفط العالمية على تلبية الطلب.

وفي تعليق لـ«الشرق الأوسط» على بلوغ اسعار النفط لمستويات قياسية جديدة في ذلك الوقت فوق 61 دولاراً للبرميل قال الدكتور أنس الحجي، الأستاذ في جامعة شمال أوهايو الأميركية، «إن موسم الأعاصير الحالي يعتبر بداية لحقبة جديدة في أسواق النفط حيث ستصبح هذه الأعاصير أحد المحددات المهمة لأسعار النفط في فصل الصيف بسبب توغل شركات النفط في خليج المكسيك للتنقيب عن النفط في المياه العميقة». وأضاف «إن الوضع الحالي أخطر بكثير مما يتوقع البعض. فهذه

المصـــــدر : الشرق الاوسط

التـــاريخ : 29-12-2005 العـــدد : 9893

الصفحـات : 20 المسلسل : 83

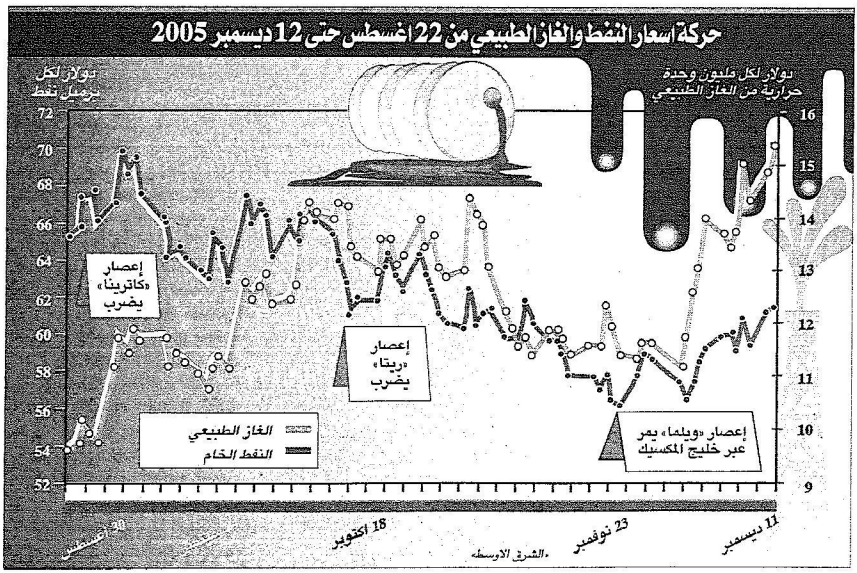

المـرة الأولى الـتي ترتفـع فيهـا أسـعار النفط بهذا الشـكل بدون حدث سياسي ضخم يماثل الثورة الإيرانية أو بداية الحرب العراقية ـ الإيرانية أو الغزو العراقي للكويت أو حـرب الخليـج أو الاجتيـاح الأميركي للعراق».

كان هذا التحليل دقيقاً إلى حد بعيد حيث انه أشار إلى أن الأسعار الحالية هـي نتيجة «لأساسيات العرض والطلب» وتنبأ بالخطورة التي تشـكلها مثل هذه العواصف

المصـــــدر : الشرق الاوسط
التـــاريخ : 29-12-2005 العـــدد : 9893
الصفحـات : 20 المسلسل : 83

في سوق تتعامل مع هذه المعطيات. وأشار الحجي الى إن تلك الأسعار ليست فقاعة نتيجة المضاربات أو نتيجة نمو غير منطقي، وإنما نتيجة أساسيات السوق ونتيجة التطورات خلال الـ 25 سنة الماضية من تقلبات السوق.

انتهت الاعاصير، «دينيس» و «سيندي» و «إيميلي» بدون تاثير كبير على المنشآت، ولكنها صعدت من التاثير النفسي والمخاوف في السوق وساهمت في استمرار ارتفاع الأسعار. لكن الأعاصير التي وصفها الحجي بانها ستكون من المحددات المهمة لأسعار النفط ضربت لاحقاً في عقر مصافي التكرير في خليج المكسيك حينما زارتها أولا «كاترينا»، ثم «ريتا». وكانت زيارة «كاترينا» قد أخذت أضرارها قبل ان تصل، فقد كانت عناوين الصحف تتحدث عن حالة السوق المترقبة والمتوترة منذ ظهور «كاترينا» على شاشات الرادار.

فبعد مرور «إيميلي» بسلام كانت العناوين الاقتصادية من قبيل: «أسعار النفط تهدأ ولكن «كاترينا تبقيها مستنفرة»، ثم تطورت العناوين نحو: أسعار النفط تتقلب على نار «كاترينا». ثم دفعت المخاوف من «كاترينا» الأسعار إلى 68 دولاراً للبرميل. وبنهاية شهر أغسطس (آب) كانت «كاترينا» قد وصلت وأرغمت شركات النفط الكبرى ومصافي التكرير في منطقة خليج المكسيك على وقف 42 في المائة من إنتاجها (1.5) مليون برميل يومي. ودفعت الأسعار فوق حاجز الـ 70 دولاراً للمرة الأولى في تاريخ صناعة النفط العالمية فجلبت استنفاراً عالمياً لمحاولة التحكم السريع في الأسعار قبل أن تقلب موازين الاقتصاد الدولي.

وعلى المدى القصير، عبرت السعودية أكبر مصدري النفط في العالم عن استعدادها لزيادة انتاجها من النفط الخام الى11 مليون برميل يوميا لسد أي نقص في الامدادات ينتج عن الاعصار كاترينا. وقال وزير البترول السعودي علي النعيمي حينها «ان المملكة على اتصال مع زبائنها، خصوصا في الولايات المتحدة للمساعدة في سد أي نقص في الامدادات». من جهتها، قالت الإدارة الأميركية إنها مستعدة لدراسة إقراض كميات من النفط الخام من الاحتياطي البترولي الاستراتيجي إذا طلبتها مصافي التكرير الأميركية لمواجهة تأخر وصول الشحنات بسبب الإعصار.

وأثبتت التحركات السياسية السريعة التي تبعت الكارثة قدرتها على وضع حد لارتفاع الأسعار، فقد دفع إعلان «أوبك» زيادة إنتاجها، والبيت الأبيض موافقته على سحب كميات من الاحتياطي النفطي الاستراتيجي، سعر الخام للتراجع عن 70 للبرميل الى 67.8 دولار لنايميكس الأميركي. ثم بدأت بوادر حل الأزمات المتراكمة بدءا بمسألة سعة التكرير العالمية.

في بداية أكتوبر، قال عدنان شهاب الدين، القائم بأعمال الأمين العام لمنظمة أوبك، ان سعة التكرير النفطية العالمية لن تتحسن قبل عام 2007. وجاء ذلك خلال التصريحات التي أدلى بها على هامش مؤتمر البترول العالمي الذي عقد في جوهانسبرغ، جنوب أفريقيا. وأبان شهاب الدين انه لن يطرأ أي تحسن ملحوظ في هذا الشأن على الرغم من وجود بعض المؤشرات المشجعة في بعض الدول الرئيسية التي تملك مصافي للتكرير. كما أضاف شهاب الدين «سنرى عام 2006 بعض الزيادة في سعة تكرير النفطية على مستوى العالم».

كما انتقد شهاب الدين شركات النفط العالمية بسبب فشلها في ضخ استثمارات جديدة لتشييد مصاف وتوسيع سعة الطاقة التكريرية، مبينا في الوقت نفسه ان كل دولة من أعضاء أوبك تستثمر حاليا في ما لا يقل عن مصفاة واحدة جديدة وبعض هذه الاستثمارات تقع خارج بلادها. وعلى سبيل المثال، أعلنت ارامكو السعودية، أخيرا ان الشركة تخطط للانتهاء من إقامة مصفاتين جديدتين تبلغ طاقتهما المشتركة 800 ألف برميل يوميا بنهاية العام.

وفي محاولة لحث الدول المستهلكة للمشاركة في حل مسببات أزمة النفط التي شهدتها السنة، طالب خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز، الدول المستهلكة للنفط بالحد من المضاربات في سوق البترول، ومقاومة الإشاعات والمعلومات المضللة التي تشوه حقائق السوق، كما طالبها بتخفيف العبء عن مواطنيها بخفض الضرائب على المنتجات البترولية. جاء ذلك، خلال الكلمة، التي ألقاها الملك عبد الله خلال رعايته لتدشين المقر الدائم للأمانة العامة لمنتدى الطاقة الدولي في الرياض.

وأضاف الملك عبد الله أن السعودية قامت بزيادة طاقتها الإنتاجية على نحو لا يمس حقوق الأجيال القادمة ولا يضر بالحقول، مؤكدا أن السعودية تبنت داخل منظمة «أوبك» وخارجها، مواقف معتدلة في كل ما يتعلق بالإنتاج والتسعير، وعمدت الى زيادة الانتاج، كلما حدث نقص في العرض، واتبعت أسلوب التنسيق والتشاور مع المستهلكين ومع صناعة البترول العالمية.

وذكرت وكالة الطاقة الدولية لاحقاً ان تباطؤ نمو الطلب العالمي على النفط قد يساعد في تعويض آثار الاعصار كاترينا ويدعم جهود الغرب لمنع وقوع أزمة طاقة عالمية. وقالت الوكالة في تقريرها الشهري له حتى قبل أن يدفع الاعصار أسعار النفط الخام الأميركي الى مستوى 70.85 دولار للبرميل، كان ارتفاع الاسعار قد بدأ يضر بنمو الطلب العالمي.

الى ذلك، قال محمد الجاسر، نائب محافظ مؤسسة النقد العربي السعودي، أمس «ان الدول المنتجة للنفط ينبغي ان تحذو حذو السعودية بتنفيذ استثمارات جديدة في مشروعات انتاج الخام وتكريره». وقال الجاسر على هامش اجتماع بنك التسويات الدولية الذي يحضره محافظو البنوك المركزية «حان الوقت لإحياء كبير للاستثمار في التنقيب والإنتاج في دول منتجة اخرى لزيادة الطاقة الانتاجية». وأضاف «في حين استثمرت السعودية بقوة في انشطة التنقيب والإنتاج حتى في ظل ضغوط شديدة بسبب الاسعار والكميات المباعة، أحجم منتجون آخرون عن هذه الاستثمارات». ورغم أن الدعوة للاستثمار تعني مناقسة أكبر لمصدر الدخل الرئيسي في المملكة، فانها تعكس القلق المتزايد بين كثير من كبار المنتجين من أن نقوض استمرار الاسعار المرتفعة الطلب على النفط مستقبلا.

وبحلول الشهر الأخير في العام، كانت آثار «كاترينا» قد بدأت في التلاشي، وتعافت منصات الحفر والقدرات الإنتاجية في خليج المكسيك، وبدأ الخبراء يتحدثون عن الحلول الكامنة في تطوير التكنولوجيا النفطية للخروج من أزمة النفط، فيما آخرون يدعون إلى النظر نحو البدائل الممكنة، ولكن رغم كل ذلك، فإن أسعار برميل النفط من سلة أوبك، مروراً بـ «برنت» والخام الأميركي لا تزال تحوم تحت سعر 60 دولاراً بقليل. وكان هناك انطلاق لموجة استثمارات كبيرة حول العالم بحثاً عن مزيد من النفط الخام ومزيد من القدرات التكريرية وبدأت السوق تشهد فترة من الاستقرار، ولكنه استقرار كشف عن حقائق مهمة في أسواق النفط ومدى قوة الاقتصاد الدولي وقدرته على تحمل حدوث أسعار نفط أكبر من ما كان يعتقد سابقاً خاصة بحساب معدلات التضخم وسعر صرف الدولار.

وبهذه الاستنتاجات وصلت الحالة النفسية لأسواق النفط إلى حالة تقبل لمعدلات أسعار لم تبد مقبولة قبل ذلك بعام، حيث يتحدث المحللون عن هبوط أسعار النفط الخام من المعدلات التي وصلت إليها عشية موسم الأعاصير ولكنهم، وحتى الأكثر تفاؤلا منهم لا يتوقع أن تعود إلى المعدلات السابقة تحت سقف الـ40 دولاراً للبرميل فضلاً عن مستوى 25 دولاراً. ولكن إن كان المحللون والخبراء في أمور النفط قد علموا شيئاً واحداً خلال 2005، فإن ذلك سيكون أنهم كانوا غالباً ما يخطئون ونادرا ما يصيبون.